REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع	رقم الإيداع بدار الكتب
2401-1687	99/9440
الترقيم الألكتروني	الترقيم الدولي
3354-2735	977-5366-11-9

لنشر الأبحاث بالمجلة
يرجى الإرسال من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة
https://jejh.journals.ekb.eg

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

المجلد السادس والخمسون

القاهرة

٢٠٢٢م

هَيْئَة التَّحْرِير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. جمال مُعَوَّض شَقْرَة
أ.د. أحمد زكريَّا الشَّلْق
أ.د. خَلَف عبد العظيم الميري
أ.د. أحمد الشِّرْبِيني السَّيِّد
د. محمَّد فوزي رَحِيل ـ سكرتير التحرير

الَهيْئَة الاسْتِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

أ. د. إبراهيم القَادِري بوتْشِيش (المَغْرِب)
أ. د. عَلَاء الدِّين عبد المُحْسِن شَاهِين (مصر)
أ. د. أحمد رَجَب محمد علي (مصر)
أ. د. محمَّد م. الأُرْنَاؤوط (كوسوفو)
أ. د. إسْحَاق تاوَضْرُوس عِبِيد (مصر)
أ. د. محمَّد صَابِر عَرَب (مصر)
أ.د. أشْرَف محمَّد مُؤْنِس (مصر)
أ. د. محمَّد السَّيِّد عبد الغَنِي (مصر)
أ. د. تُرْكِي بن فَهْد آل سَعُود (السَّعُودِيَّة)
أ. د. محمَّد عِيسَى الحَرِيرِي (مصر)
أ. د. جولييت رَسِّي (لُبْنَان)
أ. د. محمُود إسْماعِيل عبد الرَّازِق (مصر)
أ. د. حسين سيِّد عبد الله مُراد (مصر)
أ. د. مُنِيرَة شَابُوتُو رِمَادِي (تُونس)
أ. د. السَّيِّد فِلِيفِل (مصر)
Prof. Dr. Sylvie DENOIX (France)
أ. د. عاصِم أحمَّد الدِّسُوقي (مصر)
Prof. Dr. Albrecht FUESS (Germany)
أ. د. عبد الكَرِيم مَدُون (المَغْرِب)
Prof. Dr. Nicolas MICHEL (France)
أ. د. عبد الله بن محمَّد المُنِيف (السَّعُودِيَّة)
Prof. Dr. Tetsuya OHTOSHI (Japan)
أ. د. عَفَاف سَيِّد صَبْرَة (مصر)
Prof. Dr. Michel TUCHSCHERER (France)

تصميم الغلاف : محمد أشرف عبدالمقصود
الإخراج الفني والتنفيذ: ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتويات

النَّباتاتُ الطِّبِّيَّةُ مُسَكِّنَةُ الْآلَامِ فِي مِصْرَ القَدِيمَةِ ٧-٥٢

د. رجب عبداللطيف محمد محمد

نَقْلُ المَوْتَى فِي مِصْرَ خِلالَ العَصْرِ الْرُومَانِيِّ فَى ضَوْءِ الوَثَائِقِ البَرْدِيَّةِ ..

الباحثة/ فاتن على حسن عبد المطلب ٥٣ - ٨٦

قِفْطُ فِي العَصْرِ البِيزَنْطِيِّ (٢٨٤ – ٦٤١ م) ..... ٨٧ - ١٤٨

د. محمد عبدالشافي محمد محمود المغربي

كُورَةُ القَيْسِ فِي صَعِيدِ مِصْرَ (الفَتْحُ، والِاسْمُ، وَمَظاهِرُ الحَضَارَةِ)

٢١- ٦٣٥هـ/ ٦٤٢- ١٢٣٧م ..... ١٤٩ - ١٨٦

د. عمر بكر محمد

اَلْجُذُورُ التَّارِيخِيَّةُ لِدَوْرِ الأَتْرَاكِ فِي اضْمِحْلَالِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ

«أَشْناسُ أُنْموذَجًا» ..... ١٨٧ - ٢٠٦

أ.د. محمد عثمان عبدالجليل

المَدَارِسُ الْوَقْفِيَّةُ فِي مَدِينَةِ فَاسَ خِلالَ العَصْر المَرِينِيِّ ..... ٢٠٧ - ٢٤٤

أ.د. حسين مراد

دَوْرُ الجَيْشِ فِي الأَعْمَالِ المَدَنِيَّةِ فِي مِصْرَ زَمَنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ بن

قَلَاوُونَ (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩– ١٣٤٠م) ..... ٢٤٥ – ٢٩٨

د. محمد فوزي رحيل

تابع المحتويات

بَعْضُ جَوانِبِ الحَياةِ الِاجْتِماعيَّةِ والِاقْتِصاديَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ مِنْ خِلالِ كِتابِ اَلْرَوْضِ المِعْطارِ لِلْحميَرِيِّ (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ٢٩٩-٣٥٦
د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي

مُؤَسَّسَاتُ ضَبْطِ الحُدُودِ القشْتاليَّةِ مَعَ غَرْناطَةَ فِي القَرْنَيْنِ الثّامِنِ والتّاسِعِ الهِجْرِيَّيْنَ / الرّابع عَشَرَ والْخامِس عَشَرَ المِيلَادِيَّيْنِ ..... ٣٥٧ - ٤١١
د. أميرة الطواب أحمد سفين

دورُ الوقفِ في نشوءِ بعضِ المـدنِ في المناطقِ الألبانيةِ خلالَ الحكم العثمانيِّ ..... ٤١٣ - ٤٢٨
محمد موفق الأرناؤوط

مَوْقِفُ مِصْرَ مِنْ مَطالِبِ اسْتِقْلَالِ السُّـودَانِ فَى الفَـتْرَةِ مِنْ ١٩٤٢–١٩٥٦ ..... ٤٢٩ - ٤٧٨
أ.د. أحمد عبدالدايم محمد حسين

مَشْروعُ المَمْلَكَةِ العَرَبيَّةِ المُتَّحِدَةِ وَمَوْقِفُ حَرَكَةِ فَتْحٍ مِنْهُ «دِراسَةٌ فِي مَصادِرِ فَتْحٍ» ..... ٤٧٩ - ٥٠٦
د. عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان

بَيْنَ صَلاحِ الدِّينِ وَجَمالِ عَبْدِ النَّاصِرِ: أَزْمَةُ الكِتابَةِ التَّاريخيَّةِ فِي الخَمْسِينِيَّاتِ والسِّتِّينِيَّاتِ ..... ٥٠٧ - ٥٢٦
الباحث/ حسن حافظ عبد الحفيظ عدوان

The Role of Exile in the Era of the Bahri Mamluks (1250 – 1382) 1 - 562
Dr. Sami S. Abdulla Al-Makazeem

المجلة التاريخية المصرية ٥٦ (٢٠٢٢) ٢٠٧ - ٢٤٤

المَدَارِسُ الْوَقْفِيَّةُ فِي مَدِينَةِ فَاسَ خِلالَ العَصْرِ المَرِينِيِّ

حسين مراد(*)

ملخص

أنشأ المرينيون عددًا من المدارس في أنحاء شتى من مدينة فاس بقسميها القديم والجديد، وكان الهدف الرئيس من تشييد هذه المدارس هو إعانة الطلاب على طلب العلم، والأساتذة والمدرسين على نشره. وقد بلغ عدد المدارس التي أنشأها المرينيون في مدينة فاس ثماني مدارس، وأمدوها بكل ما تحتاج إليه، ليجد فيها الطالب حاجته من التعليم، بالإضافة إلى المسكن والمأكل. ولتحقيق ذلك وقفوا الكثير من الأوقاف للإنفاق عليها ولصيانتها. وقد بنى المرينيون المدارس في فاس؛ لأن لهم جنوحًا كبيرًا إلى الخير، ومحبة في العلم وأهله؛ يشهد على ذلك المدارس الباقية إلى اليوم في مدينة فاس.

وتطرح الورقة عددًا من الأسئلة، منها: متى كانت بداية ظهور المدارس في بلاد المغرب بوجه عام، والمغرب الأقصى بوجه خاص؟ ما هي دوافع نشأة المدارس المرينية في مدينة فاس؟ ما هو تاريخ نشأة المدارس الثماني في مدينة فاس، ومؤسسها، منذ أسست أول مدرسة عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦-١٢٧٧م، وآخر مدرسة أسست عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م؟ ما هو دور أوقاف المدارس في دعم رسالتها العلمية؟ السؤال الأخير ما هي لائحة القبول في هذه المدارس، ونظام التعليم فيها؟ وسوف تحاول الورقة الإجابة عن هذه الأسئلة.

Abstract

The Marinids established a number of schools in various

(*) أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية- كلية الدراسات الأفريقية العليا- جامعة القاهرة.

parts of the city of Fez, in its old and new sections, and the main objective of building these schools was to help students seek knowledge, and teachers and teachers to spread it. The number of schools established by the Marinids in the city of Fez reached eight schools, and they provided them with everything they needed, so that the student could find in them his needs of education, in addition to housing and food. To achieve this, they endowed many endowments to spend on it and maintain it. The Marinids built schools in Fez; Because they have a great inclination towards goodness, and love for knowledge and its people. Witness the remaining schools to this day in the city of Fez.

The paper raises a number of questions, including: When was the beginning of the emergence of schools in the countries of the Maghreb in general, and Al-Aqsa Morocco in particular? What are the motives for the emergence of Marinid schools in the city of Fez? What is the history of the establishment of the eight schools in the city of Fez, and its founder, since the first school was founded in 675 AH / 1276-1277 AD, and the last school was established in 756 AH / 1355 AD? What is the role of school endowments in supporting its scientific mission? The last question, what is the admission list in these schools, and the education system in them? The paper will attempt to answer these questions.

مقدمة:

أنشأ المرينيون عددًا من المدارس في أنحاء شتى من مدينة فاس بقسميها القديم والجديد، وقد اجتهد بعض الباحثين في ذكر الباعث لظهور هذه المدارس في هذا العصر، وهي اجتهادات مقبولة لدوافع نشأة المدارس المرينية ستعرض لها هذه الدراسة، لكن لا يمكن تأكيدها من خلال المصادر المتاحة؛ لذلك نرى أن الهدف الرئيس من تشييد هذه المدارس هو إعانة الطلاب على طلب العلم، والأساتذة والمدرسين على نشره، بجعل طرفي العملية التعليمية يتفرغون لما هم بصدده من خلال بناء المدرسة وتجهيزها بكافة المرافق لتؤدي وظيفتها.

بلغ عدد المدارس التي أنشأها المرينيون في مدينة فاس ثماني مدارس، وأمدوها بكل ما تحتاج إليه، ليجد فيها الطالب حاجته من التعليم، بالإضافة إلى المسكن والمأكل. ولتحقيق ذلك وقفوا الكثير من الأوقاف للإنفاق عليها

ولصيانتها. وقد بنى المرينيون المدارس في فاس؛ لأن لهم جنوحًا كبيرًا إلى الخير، ومحبة في العلم وأهله؛ يشهد على ذلك المدارس الباقية إلى اليوم في مدينة فاس.

وتطرح الورقة عددًا من الأسئلة، منها: متى كانت بداية ظهور المدارس في بلاد المغرب بوجه عام، والمغرب الأقصى بوجه خاص؟ ما هي دوافع نشأة المدارس المرينية في مدينة فاس؟ ما هو تاريخ نشأة المدارس الثماني في مدينة فاس، ومؤسسها، منذ أسست أول مدرسة عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦-١٢٧٧م، وآخر مدرسة أسست عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م؟ ما هو دور أوقاف المدارس في دعم رسالتها العلمية؟ السؤال الأخير ما هي لائحة القبول في هذه المدارس، ونظام التعليم فيها؟ وسوف تحاول الورقة الإجابة عن هذه الأسئلة.

وقد أعان على إعداد هذه الدراسة ما توافر من مادة علمية، ممثلة في الوثائق الوقفية لمدارس فاس في العصر المريني. منها حوالة أحباس المدارس القديمة بفاس وهي مخطوطة مصورة على ميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ١٦٠، بالإضافة إلى وثائق المدارس الوقفية التي نشرها Alfred Bel في دراستين عن النقوش العربية في فاس "Inscriptions Arabes de Fes" تم نشرهما في Journal Asiatique في العدد العاشر سنة ١٩١٧، والعدد الثاني عشر سنة ١٩١٨. كما اعتمدت الدراسة على نوازل الأحباس التي أوردها الونشريسي في الجزء السابع من كتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب" مع توطين النازلة زمنيا ومكانيا.

اشتهرت مدينة فاس حاضرة المغرب الأقصى في العصر المريني بأنها مدينة العلم والثقافة، بفضل ما ازدانت به من مدارس، وبفضل من سكنها من الفقهاء والمحدثين والأدباء فقصدها طلاب العلم من جهات شتي، مما أسهم في تطور الحياة العلمية التي تدين بتطورها للأوقاف التي وقفها بنو مرين على تنمية ذلك الجانب المهم من جوانب الحضارة الإسلامية. وتعد المدرسة العامل الأهم في نمو

الحياة العلمية والثقافية، وفي تعميق جذورها في ذلك العصر في مجتمع بلاد المغرب بوجه عام ومجتمع فاس بوجه خاص، وهذا ما دفع الباحث ليعرض في التمهيد لبدايات نشأة المدارس في بلاد المغرب.

نشأة المدارس في بلاد المغرب:

تباينت الآراء حول بداية ظهور المدرسة في بلاد المغرب، فيري أصحاب الرأي الأول أنها ظهرت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أما أصحاب الرأي الثاني فيرون أنها ظهرت في القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، وأصحاب الرأي الثالث يرون أنها ظهرت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في مدينة فاس في العصر المريني حين أسست مدرسة الحلفائيين عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م.

أما بالنسبة للرأي الأول فقد تبناه العباس بن ابراهيم الذي يري أن المدارس ظهرت في المغرب في الوقت الذي ظهرت فيه في المشرق أي في القرن ٥هـ/١١م ويستدل علي ذلك بقيام الحاكم المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٥٣ -٥٠٠هـ/ ١٠٦١ ١١٠٦م) بتأسيس مدرسة الصابرين في فاس[١]. وأخذ بهذا الرأي أحد الباحثين الذي قال: أن المدارس ظهرت في بلاد المغرب في هذا القرن وأنها ظهرت في فاس وفي سبتة[٢]. والرأي الثاني الذي يرى أنها ظهرت في القرن ٦هـ/١٢م صاحبه ابن أبي زرع إذ يذكر أن يعقوب المنصور الموحدى (٥٨٠ -٥٩٥هـ/ ١١٨٤ -١١٩٨م) قام ببناء عددٍ من المدارس في إفريقية والمغرب والأندلس[٣]،

---

(١) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٨٣،جـ٨، ص ٩٨.

(٢) محمد الكحلاوي: المدارس المغربية دراسة أثرية معمارية، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، المجلد ٦، الجزء الأول يناير ١٩٩١، ص٧٣.

(٣) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الأولي، ١٩٧٢، ص٢١٧.

ويحدد الناصري موقع إحدي هذه المدارس التي بناها يعقوب المنصور بالجامع الأعظم في سلا[١]. أما الرأي الأخير لابن مرزوق فيستبعد ظهور المدارس قبل القرن ٧هـ/ ١٣م، ويقول: إن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأ أبو الحسن المريني (٧٣١ -٧٥٢هـ/ ١٣٣١ – ١٣٥١م) مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس بعدوة القرويين[٢]. نعلم أن هذه المدرسة بنيت في عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، لكن الذي بناها أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٥٦ – ٦٨٥هـ/ ١٢٥٨ – ١٢٨٦م) وليس أبو الحسن المريني[٣].

في بداية الأمر نحدد المقصود بكلمة المدرسة، هي بناء مستقل موقوف لمزاولة وظيفة التعليم أساسا، وبه سكن خاص لإيواء الطلاب الغرباء، ويلحق بهذه البناية خزانة كتب موقوفة على الطلاب وأساتذة المدرسة، ومسجد لأداء الصلوات الخمس اليومية، كما أن للمدرسة أوقافًا للأنفاق علي عمارتها وطلبتها وأساتذتها. هذا المفهوم الحقيقي لكلمة مدرسة كان غير موجود في بلاد المغرب قبل القرن السابع الهجري، ولا ينطبق على جامع الصابرين حتي لو رتب فيه مؤسسه يوسف بن تاشفين فقهاء وأساتذة يلقون فيه الدروس، فنعت هذا المكان بالمدرسة خطأ لأن ابن الخطيب حين زار مدينة فاس في منتصف القرن الثامن الهجري، أشاد بهذا الجامع وعدَّه من مآثر فاس في ميدان التعبد والنسك[٤] وليس في مجال التعليم. كما ذكره ابن قنفذ المتوفي عام ٨١٠هـ/ ١٤٠٨م جامع الصابرين

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء ١٩٥٤، ج ١،ص١٨٨.

(٢) المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق مايا خيسوس، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ١٩٨١،ص ٤٠٥.

(٣) الجزنايي: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الرباط الطبعة الثانية ١٩٩١، ص٨١.

(٤) ابن الخطيب: مشاهدات ابن الخطيب في الأندلس والمغرب، نشر أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الأسكندرية ١٩٥٨، ص١١٠.

وليس مدرسة الصابرين[١]. كما أن مؤلف الإعلام المتوفي عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م والذي قال مدرسة الصابرين متأخر جدًا، والمصادر المعاصرة لم تذكر بناء يوسف بن تاشفين مدرسة الصابرين. ولذلك لا عبرة للرأي القائل بوجود مدارس في فاس وسبتة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

كما إنه من الصعب القبول بالرأي القائل بظهور المدرسة في القرن السادس الهجري فابن أبي زرع صاحب هذا الرأي لم يكن معاصرًا لفترة حكم يعقوب المنصور الموحدى فهو يكتب تاريخه في الربع الأول من القرن الثامن الهجري-إذ أن آخر خبر سجله في كتابه يرجع لعام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م- أي بعد وفاة الأخير بقرن وربع القرن، كما أنه الوحيد الذي انفرد بهذه الرواية. أما الناصري الذي أخذ بهذا الرأي فهو متأخر جدًا إذ توفي في عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، كما أن الناصري يحدد إحدى هذه المدارس ويقول: مدرسة الجامع الأعظم بسلا، وقد خلط صاحب هذا الرأي بين مفهوم المدرسة الذي ذكرناه من قبل وبين قيام يعقوب المنصور بترتيب دروس تلقي في هذا الجامع، ولذلك نري أن المدرسة بالمفهوم الذي حددناه لم يكن لها وجود في القرن ٦هـ/ ١٢م. ومن ثم فإننا لا نري صحة للرأي القائل "بأن الموحدين بنوا المدارس ولم يبق لها أثر إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا محلها مدارس تحمل أسماء ملوكهم"[٢]. ذلك أن المصادر التي تناولت نشأة المدارس المرينية لم تذكر أن موقع هذه المدارس كان في الأصل موقعًا لمدارس موحدية، كما أن المرينيين بنوا في مدينة فاس ثماني مدارس فهل كان للموحدين في مدينة فاس هذا العدد من المدارس؟ لا نري ذلك ولو افترضنا هذا العدد من المدارس في فاس، فما هو عدد مدارس مراكش عاصمتهم ومركز حكمهم؟

---

(١) أنس الفقير وعز الحقير، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ١٩٦٥، ص٦٦.

(٢) ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٨٤، ج ١، ص ٣٤٥

علي أية حال لا نتفق مع الرأي القائل بأن المدارس ظهرت في القرن ٦هـ/١٢م خصوصا في فترة حكم يعقوب المنصور الموحدي، ونتفق مع الرأي القائل بظهورها في القرن ٧هـ/ ١٣م، لأن المدرسة التي ظهرت في هذا القرن تتفق مع المقصود بالمدرسة والذي حددناه من قبل. لكن مدرسة الحلفائيين التي بناها أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٥٦ -٦٨٥هـ/ ١٢٥٨ ١٢٨٦م) في مدينة فاس عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م لا تعد أول مدرسة عرفت في بلاد المغرب في هذا القرن، بل تعد ثالث مدرسة ظهرت في هذا القرن في بلاد المغرب، وتعد ثاني مدرسة ظهرت في المغرب الأقصى.

أما أول مدرسة أسست في بلاد المغرب فكانت في مدينة تونس على أيدي أبي زكريا يحيي بن محمد بن عبدالواحد الحفصي (٦٢٥- ٦٤٧هـ/ ١٢٢٨-١٢٥٠م) الذي بني عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢ مدرسة الشماعين قرب الجامع الأعظم وسوق العطارين[١]، ولا تزال هذه المدرسة موجودة حتي الآن. أما المدرسة الثانية التي بنيت في بلاد المغرب وتعد الأولى في المغرب الأقصى فهي مدرسة أبي الحسن الشاري الغافقي المتوفي عام ٦٤٩هـ/١٢٥٢م، والتي بناها في مدينة سبتة عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م[٢]. وبعد أربعين سنة من بناء هذه المدرسة الأخيرة بني أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني ثالث مدارس بلاد المغرب وثاني مدارس المغرب الأقصى بعد أن بني مدرسة الحلفائيين في مدينة فاس عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م.

لقد اتخذت المدارس التي ظهرت في القرن ٧هـ/١٣م والمدارس التي ظهرت فيما بعد في القرن ٨هـ/١٤م طابع المدارس التي ظهرت في المشرق الإسلامي من حيث البناء المستقل للمدرسة بالإضافة إلى الأملاك الموقوفة عليها.

---

(١) ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤، ص ٥٦.

(٢) الأنصاري: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار، تحقيق عبدالوهاب بن منصور،المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثالثة ١٩٩٦، ص٢٧.

دوافع نشأة المدارس المرينية:

أنشأ المرينيون عددًا من المدارس في أنحاء شتي من مدينة فاس بقسميها القديم والجديد، فما هو الباعث لظهور هذه المدارس في هذا العصر؟ ثمة آراء لعدد من الباحثين يجتهدون في تفسير ظهور المدارس المرينية، ويرجعون ذلك لعوامل عديدة. فقد أرجع لوتورنو الدافع إلى أن المرينيين رغبوا في أن يحيطوا أنفسهم بهالة من المجد كانت تعوزهم بعد أن استولوا علي السلطة، ليظهروا بمظهر رعاة العلم والثقافة [١]. ويضيف صاحب هذا الرأي دافعًا آخر لظهور المدارس المرينية ويقول: إن تطور التيار الشعبي الصوفي الذي يبدو أنه بدأ يقوي من أوائل القرن ٧هـ/١٣م وظهور البدع، دفع المرينيون لكبح جماح هذه القوة وهذا التيار إلى إنشاء المدارس وتجهيزها بسكن لاستقبال الطلاب من الأرياف والبوادي من أجل إخضاعهم لمناهج تعليمية تهتم بتدريس قواعد الإسلام الصحيح، وبالتالي محاربة البدع. ومن المؤكد إن مجيء الطلاب من الأرياف والبوادي إلى المدينة للتعلم كان قد حدث من قبل لكن الأعداد كانت قليلة، وزادت في العصر المريني بما توافر لهم من مدارس خصصت أصلًا لاستقبالهم وتعليمهم مما شجعهم علي القدوم بأعداد كبيرة[٢].

رأي آخر يرى صاحبه أن الهدف من تشييد المدارس المرينية نشر المذهب المالكي بتكوين أطر فقهية تتبنى هذا المذهب وتناهض عقيدة الموحدين التومرتية[٣]. أما الرأي الثالث والأخير فيرى صاحبه أن المدارس أنشئت لرغبة حكام الدولة المرينية في تكوين أطر دينية وإدارية مخلصة للبيت الحاكم[٤].

---

(١) فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٦٧ ص ١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٣ – ١٧٤.

(٣) BRIGNON, J.; " Histoire du Maroc", *ed Librair le National*, Casablanca, 1967, p. 156.

إبراهيم جركات: الحياة الدينية، ص ٢٣٠.

(٤) SHATZMEILER, M: "Les premiers Merinid set Mikieu Religieu de Fes", *Introduction des Medrasas, Stvdia Islamica*, Tome XLIII, pp 109 – 116,

هذه الآراء التي طرحها بعض الباحثين كدوافع لنشأة المدارس المرينية هي اجتهادات لا يمكن تأكيدها في ضوء المصادر المتاحة. لذلك نري أن الهدف الرئيس من تشييد تلك المدارس هو إعانة الطلاب على طلب العلم، والمدرسين والأساتذة على نشره، بجعل طرفي العملية التعليمية يتفرغون لما هم بصدده، بضمان مؤنتهم وسكناهم، وتجهيز المدرسة بخزانة كتب لتكون في متناولهم. يؤكد ما ذهبنا إليه قول ابن مرزوق: "لا خفاء في فضيلة نشر العلم وبثه، ولا يحفظ العلم إلا بمعونة الطلاب على طلبه وبحثهم على تعلمه وتعليمه"[١]. كما إن نص وقفية أبي عنان علي المدرسة البوعنانية يؤكد أيضا ما ذهبنا إليه، إذ نص في الوقفية أنه: "قصد أيده الله ببنائها وجه الله تعالي في إحياء رسوم العلوم، وتجديد العناية بالمنقول، ابتغاء حسن الثواب علي تخليد أفعال البر وإجراء الصدقات الباقية بقاء الدهر، حبس أيده الله علي هذه المدرسة إرفاقًا لطلبة العلم وإرفادًا وإعانة لهم وإسعادًا"[٢].

علي أية حال أنشأ المرينيون المدارس وأمدوها بكل ما تحتاج إليه ليجد فيها الطالب حاجته من التعليم والسكن والطعام، بفضل الأوقاف التي أوقفوها عليها للإنفاق عليها وصيانتها وجذب الطلاب، لا سيما أن التعليم قبل مجيء المرينيين كان مقصورًا على المساجد – أو في أهمها على الأقل – مثل جامع القرويين وجامع الأندلسيين. لكن مثل هذا النظام كان من شأنه استبعاد الطلبة المقيمين في البوادي والأرياف الذين ليست لهم قدرة على الحصول على السكن، لذلك قرر المرينيون إحداث المدارس ليجد فيها طلاب البوادي الغذاء الفكري بالإضافة إلى السكن والطعام من موارد الأوقاف[٣]، مما يدل على أن بني مرين بنوا المدارس لأن لهم جنوحًا إلى الخير، ومحبة في العلم وأهله، يشهد على ذلك آثارهم الباقية إلى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها.

---

[١] المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا لأبي الحسن، ص٤٥.

[٢] BEL: *Inscriptions Arabes de Fes*, Tome 12, pp 363, 364.

[٣] لوتورنو: فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلاني، بيروت بدون تاريخ، ج ١، ص١٥.

وتشترك هذه المدارس المرينية في التصميم العام الذي يمكن إجماله فيما يلي: يواجه الداخل إلى المدرسة صحنها الذي يختلف في السعة والضيق حسب حجم المدرسة، ويتصدر الصحن في مواجهة القبلة مصلي (بيت الصلاة)، وأمام المصلي يتوسط الصحن بيلة رخامية (فسقية للوضوء)، وفي كل مدرسة يحف بالصحن من ثلاث جهات غير جهة المصلي طابقان، سفلي وعلوي بهما حجرات معدة للتدريس ولسكن الطلبة، بينما تتميز المدرسة المصباحية بأنها تتكون من ثلاثة طوابق[١]. وسوف نعرض للمدارس المرينية ودور الأوقاف في أداء رسالتها.

مدرسة أبي يوسف يعقوب (الحلفائيين):

عرف عن يوسف بن عبدالحق المريني (٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٥٨-١٢٨٦م) محبة العلم وأهله، كما كان مقربًا للعلماء. لذلك بني أول صرح للعلم في مدينة فاس وهو مدرسة الحلفائيين سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦-١٢٧٧م. وتقع هذه المدرسة على مقربة من جامع القرويين، بإزاء عين ماء من قبلة جامع القرويين، وأجري فيها ماء هذه العين. ودعيت فيما بعد بمدرسة الصفارين لأنها تقع بين حوانيتهم. وقد أشرف علي بناء تلك المدرسة قاضي فاس أبو أمية الدلائي[٢]. أما قبلة مسجد هذه المدرسة فقد قام بتعيينها أبو عبدالله محمد بن الحياك، ولم يشاركه في ذلك غيره من أهل علم الهيئة، لذلك ظهر فيما بعد أنها منحرفة قليلًا عن قبلة جامع القرويين[٣]. وبعد البناء أسكنها الطلبة والمقرئين للعلم، وأجري عليهم المرتبات في كل شهر[٤].

ويعود الفضل إلي أوقاف هذه المدرسة في أداء رسالتها، وتشمل علي أربعة

---

(١) الزبير مهداد: جولة في المدارس الأثرية بفاس، مجلة دعوة الحق، العدد ٣٦٣، السنة الثانية والأربعون، يناير ٢٠٠٢، ص٥٥

(٢) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط ١٩٧٢ ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣) الجزنائي: مصدر سابق، ص ٧٥.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس، ص ٢٩٨.

أسباع حانوت في البلاديغيين، وحانوت علي يسار الداخل من البلاديغيين، وحانوت تقابل منزل.....، حانوت مع جلستها، حانوت الغسال، ثلاث حوانيت تليها مع جلستها، حانوت صغري بوسط.....مع جلستها، ثلاث أرباع وثلثي حانوت بالعطارين، نصف أرحي...، أرحي الصهريج، نصف فرن...، مجموعة من الأجزية [١]. أي الإيجارات التي لم نستطع تحديدها لصعوبة قراءة هذا الجزء من الوقفية.

وتعد خزانة الكتب من أهم ملحقات هذه المدرسة والتي وقفها مؤسسها على طلاب العلم والمدرسين، وضمت الكتب المتنوعة التي تسلمها من الملك القشتالى سانشو، بعد معاهدة الصلح التي عقدت بين الطرفين عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م[٢].

استمرت مدرسة الحلفائيين تؤدي رسالتها التعليمية منذ أسست في الربع الأخير من القرن السابع الهجري حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، إذ نعثر في كتب التراجم علي ترجمة للطالب محمد بن سليمان الجزولي المتوفي عام ٨٠٩هـ/١٤٠٧م والذي دخل فاس بقصد قراءة العلم وتحصيله، وكان يسكن مدرسة الحلفائيين وبها ألف كتابه المسمى "دلائل الخيرات"[٣]. كما كان الفقيه المفتي محمد بن علي بن أملال المديوني المتوفي عام ٨٥٩هـ/١٤٥١م يصلي بالطلاب في تلك المدرسة[٤].

---

[١] حوالة أحباس المدارس القديمة بغاس، ميكروفيلم رقم ١٦٠، قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط، ورقة ٢٣، ٢٤.

[٢] ابن أبي زرع: الأنيس، ص٢٦٤، الناصري: ايستقصا، ج٣، ص١١١.

[٣] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص ٣١٩.

[٤] المصدر السابق والجزء، ص٢٤٠.

المدارس التي بناها أبو سعيد المريني:

(أ) مدرسة فاس الجديد:

بعد نصف قرن من تأسيس أمير المسلمين يعقوب بن عبدالحق المريني مدرسته التي دعيت بمدرسة الحلفائين، اقتفي أبو سعيد بن عبدالحق المريني (٧١٠- ٧٣١هـ/ ١٣١٠ ١٣٣١م) أثره في هذه المنقبة الكريمة، حين أمر في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م ببناء مدرسة فاس الجديد، فبنيت أتقن بناء[١]. وبعد أن اكتمل البناء عام ٧٢١هـ/١٣٢١م[٢]، رتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم، وأجري عليهم المرتبات والمؤونة في كل شهر، على أن تدفع لهم من الرباع والضياع التي وقفها على هذه المدرسة[٣].

والجدير بالذكر أن "ألفرد بيل" قد وقع في خطأ، حين قام بنشر وثيقة وقفية مدرسة فاس الجديد والتي كانت مكتوبة على لوحة رخامية مثبتة في تلك المدرسة. إذ جاء في نص الوقفية التي نشرها – عن النص الأصلي للوقفية – أن الذي أمر ببناء هذه المدرسة "مولانا الخليفة الإمام العادل الهمام، السيد الأعظم، الملاذ الأعصم، الطاهر الأنقى، المجاهد في سبيل الله، المؤيد بحزب الله، أبو الحسن علي بن مولانا الخليفة الإمام أمير المسلمين أبي سعيد عثمان"[٤]. هذه الألقاب التي وردت في نص الوثيقة ألقاب خلافة أو إمرة للمسلمين، وتنطبق علي أبي سعيد عثمان بن عبدالحق المريني الذي كان أميرًا للمسلمين في وقت بناء المدرسة. وبالتالي لا تنطبق هذه الألقاب على ابنه أبي الحسن علي المريني، فقد كان في ذلك الوقت أي وقت بدء بناء هذه المدرسة عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م والانتهاء من تشييدها عام ٧٢١هـ/١٣٢١م وليًا للعهد.

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس، ص٤١١.

(٢) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p160.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس، ص ٤١١، ٤١٢، الناصري: الأستقصا، جـ٣، ص١١١.

(٤) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p 158.

يدعم ما ذهبنا إليه أن أبا الحسن المريني حين كان وليًا للعهد بني مدرسة الصهريج عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م وأن نص وقفية هذه المدرسة لم ينعته بألقاب الخلافة، وجاء نص الوقفية ليشير إلي أنه وليًا للعهد، إذ تنص الوقفية علي أن الذي "أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى المتصلة بشرقيها مولانا الأمير ولي عهد المسلمين أبي الحسن بن مولانا أبو سعيد"(١).

يدعم ما ذهبنا إليه أيضًا ما ورد في بعض المصادر المعاصرة لتأسيس هذه المدرسة، فابن أبي زرع الذي كان معاصرًا لأمير المسلمين أبي سعيد -إذ ينتهي كتابه الأنيس عند أحداث عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م – وعاصر بناء تلك المدرسة، يذكر أن أبا سعيد عثمان بني تلك المدرسة بحضرته في فاس الجديد(٢). كما أن ابن مرزوق والمتوفي عام ٧٨١هـ/١٣٨٠م وكان معاصرًا لفترة حكم السلطان أبي الحسن المريني والذي خصه لنفسه وجعله محل سره وإمام جماعته وأمين رسالته(٣) ذكر في كتابه أن أبا سعيد عثمان والد أبي الحسن علي هو الذي بني تلك المدرسة(٤). لذلك نؤكد أن "ألفرد بيل" وقع في خطأ أثناء نقل النص الأصلي للوقفية وأن مدرسة فاس الجديد من بناء السلطان أبي سعيد عثمان وليس ابنه وولي عهد أبي الحسن.

ومن أجل أن تؤدي هذه المدرسة رسالتها في تدريس العلم وإقراء القرآن، وقف أبو سعيد عثمان أملاكًا توزعت بين فاس القديم وفاس الجديد. ففي القسم القديم من المدينة وقف مدشر(٥) أبي زيد من حوز فاس، كما وقف حمام السلطان

---

(١) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p, 222.

(٢) الأنيس المطرب، ص ٤١١.

(٣) ابن القاضي: مصدر سابق، ج ١، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٤) المسند الصحيح الحسن، ص ٤٠٥.

(٥) مدشر أو مجشر: صيغة فصيحة تعني مكان الجشر، والجشر في قواميس الفصحة هو إخراج الدواب للرعي ويبتون مكانهم ولا يرجعون إلي أهليهم. ومن هنا كان معني المجشر في عربية الغرب الإسلامي: القرية الصغيرة. وقد عرفت الكلمة تطورا صوتيا في المغرب الأقصى فأبدلوا الجيم دالا فقالوا "مدشر".أنظر: عبدالعال الودغيري: الألفاظ المغربية – الأندلسية في معيار الونشريسي، مكتبة كلية الآداب، الرباط، العدد٦٧، سنة ١٩٩٢، ص ٤٤، ٤٥.

الكائن بالخراطين وعلى مقربة من مسجد الشرفاء، وحمام الدرب الطويل الكائن بأقصى الدرب المذكور، وأعلي الحمامين المذكورين وقف ثلاث مصار[١] اثنتين بأعلى حمام السلطان وواحدة بأعلى حمام الدرب الطويل. كما وقف ستة عشر حانوتًا تقع في وادي الجوطية وهي عن يسار الداخل إلي الجوطية في الطريق الثاني من فم عين علون، سبعة أثمان في فندق الغرباء الكائن بجرنة، وبيت الأرحاء الكائن بوادي فيمية المشتمل علي حجرتين. وأما ما تم وقفه في فاس الجديد المدينة البيضاء دار الملك: الكوشة الكبري والحانوتين المتصلان بها من ناحية الجوف وأعلي جميع ذلك لخدمة الكوشة المذكورة، وحانوت على يمين الخارج من باب المدرسة القبلي. وبعد ذكر هذه الموقوفات أكد الواقف علي دوام الوقف واستمراريته إذ يذكر: إن ما حبسه يعد "تحبيسًا دائما وتخليدًا مؤبدًا إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"[٢].

ويُعد أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبدالرحمن الجذامي الفاسي الشهير بالقباب والمتوفي عام ٧٧٨هـ/١٣٧٧م من أشهر مدرسي هذه المدرسة، وكان يدرس بها كتاب التهذيب للبرادعي[٣]. وكانت للقباب مجالس علم في مدينة فاس يدرس فيها الحديث والفقه وأصول الدين[٤].

---

(١) مصار جمع مصرية وهي غرفة مخصصة لسكني الأئمة توجد في الأدوار العليا من الأبنية الدينية والمدنية، أنظر: محمد حمزة: المصطلحات الفنية علي العمارة الإسلامية علي حروف المعجم، زهراء الشرق، الثاهرة ٢٠٠٢، مادة مصرية.

والحجرة المخصصة لإمام جامع الأندلسيين تقع فوق مصلي النساء، والحجرة المخصصة لإمام مسجد أبي الحسن المريني تقع فوق الحوانيت الموقوفة. وأطلق هذا المصطلح أيضا علي الحجرات التي كانت تبني فوق الحوانيت يتبين هذا من خلال قراءة وثيقة وقفية مدرسة العطارين.

(٢) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p 159 ,160.

(٣) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط الطبعة الثانية ١٩٩٦، ص ٥١.

(٤) ابن القاضي: مصدر سابق، ج ١، ص١٢٣.

(ب) مدرسة العطارين:

تُعد مدرسة العطارين أصغر المدارس المرينية حجمًا رغم أنها أجملها وأبهاها، وقد أمر بتشييدها أمير المسلمين أبو سعيد عثمان عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، بالقرب من جامع القرويين عند طرف سوق العطارين. وقد حضر أبو سعيد نفسه في جماعة من الفقهاء والصلحاء إلى موقع البناء حين تم الشروع في بنائها. وأشرف على البناء الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار، والذي أجرى بها ماء من بعض العيون[١].

وبعد أن تم البناء عام ٧٢٣هـ/١٣٢٤-١٣٢٥م عين فيها بعض الفقهاء لتدريس العلم، وأسكنها الطلبة، ورتب فيها إمامًا ومؤذنين وخدمة يقومون بالخدمة فيها. وأجري عليهم المرتبات وخصص لهم المؤن، واشتري لذلك كله الأملاك التي وقفها احتسابًا لله تعالي ورجاء ثوابه[٢].

وتسجل الوقفية المنقوشة على الرخامة المثبتة في جدار تلك المدرسة هذه الأوقاف وهي: ثلاثة عشر حانوتا متصلة بباب الفرج، ودار الصابون مع الحوانيت الثلاثة المخرجة منها بالشراطين، والدار والمصرية وأربع حوانيت بعين علون، وأربع حوانيت مع الطراز المحمل عليهم بعين الصليتن، وثلاث حوانيت مع المصرية المحملة عليهم بالصفارين، وسبع أثمان فندق الحدودي مع الأربع حوانيت المخرجة منه بالدرب الطويل، وتربيعة ابن جيدة بالبليدة، والحانوت الأولي بالعطارين علي يمين المار من المدرسة، والحانوت الثانية على يمين الداخل من الخرازين، والحانوت بالسبطريين هي الأولي عن يسار الخارج من فندق الزيت، والحانوت الثالثة عن يسار الخارج من الجزارين، وبيت أرحي مصالة بشيبوبة والحجر الثاني مع القاعة المتصلة به، ونصف شايع بقاعة الزرع بالبيت الموالي لحمام الزيات، والفرن بجرنز، ودار تلاصق فرن الكوشة، ودار علو بالصباغين، ودار

---

(١) ابن أبي زرع " الأنيس، ص٤١١، ٤١٢، الناصري: الأستقصا، ج٣، ص ١١٢.

(٢) BEL: *Op. Cit* , Tome 12, p 197.

علو بجزاء ابن زكون، ودار ببرزخ تلاصق دار أمن الله، ومصرية بعين الخيل ونصف فندق الرضاع بشرق جامع القرويين[١].

ويُعد أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي الشهير بابن البناء المراكشي من أهم مدرسي تلك المدرسة، وقد نال من علوم الشريعة حظًا وافرًا حتى بلغ الغاية القصوى، واتصف بأنه كان شيخًا وقورًا حسن السيرة قوي العقل. ويذكر ابن القاضي أنه عاصر السلطان أبا سعيد المريني، وقام بالتدريس في مدرسته بالعطارين. وقد اختلف في تاريخ وفاته فابن القاضي يري أنه توفي عام ٧٢١هـ/١٣٢١م[٢]، أما أحمد بابا التنبكتي فيذكر أنه توفي في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[٣]، وإذا كان ابن البناء المراكشي قد قام بالتدريس في مدرسة العطارين والتي اكتمل بناؤها عام ٧٢٥هـ/٢٤ -١٣٢٥م فإننا نري أنه توفي بعد هذا العام، وليس كما ذكر ابن القاضي وأحمد بابا.

مدارس أبي الحسن علي المريني:

اشتهر أبو الحسن علي المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣١-١٣٥١م) -كما ذكر ابن مرزوق – "بأنه من أبر الناس بأهل العلم، وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه، وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته وجعله من خواص أهل مجلسه"[٤]. لذلك بني أربع مدارس، ثلاثًا منها في عدوة الأندلسيين والرابعة في عدوة القرويين.

---

(١) BEL: *Op. Cit* , Tome 12, p 197 ,198.

(٢) جذوة الأقتباس، ج ١، ص ١٥٢.

(٣) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبدالحميد عبد الله الهرامة، مكتبة الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، الطبعة الأولي ١٩٨٩، ص ٨٧.

(٤) المسند الصحيح، ص ٢٦٠.

أولًا- مدرستا الصهريج والسبعين:

بعد أن بني أمير المسلمين أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني مدرسة في فاس الجديد، أمر ابنه وولي عهده الأمير أبو الحسن ببناء مدرستين غرب جامع الأندلسيين، وتم البناء على أتم وجه وأحسنه وأتقنه. وبني حولهما سقاية ودار وضوء وفندق السكني لطلبة العلم، وأنفق في ذلك أموالًا جليلة، تزيد علي مائة ألف دينار[١]، وجلب إليهما الماء من عين خارج باب الحديد وهو أحد أبواب فاس[٢].

وكان لكل مدرسة بناء مستقل، ويتوسط كل واحدة منها صحن، وأطلق عليهما المدرسة الكبرى والمدرسة الصغرى[٣]. ثم سميت الأولي بمدرسة الصهريج لأن صهريجًا مربعًا كان يحتل وسط الصحن، ثم أطلق علي المدرسة الأخرى مدرسة السبعين، نسبة إلي القراءات السبع التي من المرجح أنها كانت تدرس بها[٤] وهذه المدرسة كانت متصلة بشرق مدرسة الصهريج.

اكتمل بناء المدرستين في شهر ربيع الأول عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م[٥]، وابتدئ الإقراء بهما في هذا التاريخ بعد أن رتب المؤسس بهما الفقهاء للتدريس، وأسكنها بطلاب العلم وقراء القرآن، وأجري عليهم المرتبات والكسوة بعد أن وقف عليهما أوقافًا كثيرة، تذكرها وثيقة وقفه علي المدرستين، بالإضافة إلي ما وقفه أيضًا على دار أبي حباسة التي أنشأها لرعاية الشيوخ الملازمين للصلاة بجامع الأندلس ونشر هذه الوثيقة ألفرد بيل. تذكر الوثيقة ما أوقفه على المدرستين المذكورتين والدار

---

(١) ابن لأبي زرع: الأنيس، ص ٤١٢.
(٢) الناصري: الاستقصا، ج٣، ص ١١٢.
(٣) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p. 222 .
(٤) لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج١، ص ١٠٩.
(٥) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p. 222,224.

المذكورة وهي: الجنان[١] التي بخارج باب الحديد، جنان ابن شراط وجنان ابن.....، وجنان أبي زيد بن علي، وجنان تميم، وجنان السهار، وجنان الوجلة المجلوب منه ماء المدرستين، وعرصة[٢] المرسي، مع عرصة الحدودي بغدير حسن، وحظ من جنان ابن زينق خارج باب بني مسافر. ومن بيوت الأرحا اثنين بغدير حسن والثالث بغدير الجوزا، والرابع بالعيون والخامس بزقاق سئ مليح والسادس أسفل حمام الزليج مع النصف في رحي متصلة بعرصة ابن السكاك، مع بيت الأرحى الكبير بأبي طوبة. ومن الحوانيت سبعًا بدرب ابن صافي، وأربعًا بعدوة الأندلس، وواحدة باللبادين، وحظًا بحانوت بالعطارين. ومن سائر الربع فندق ابن خنوسة، ودارًا ومصرية بدرب ابن صافي، ومصرية باللبادين، ومصرية الحاج القراق عند مسجد الحمراء، ونصف دار هناك مع ثلاث وخمسين قاعة من جزاء باب الحديد وخمس ذلك كله للدار المذكورة وسائره للمدرستين[٣].

كما خص أبو الحسن المريني المدرستين بأوقاف أخري تشمل حمام الزليج والحوانيت الثلاث المتصلة به، وربع الرصيف المشتمل على أربعة وأربعين حانوتًا والأطرزة المحملة عليها، ودارين لابنة قشاشة، وحظًا من دار ابن سلام الجديدة، والدويرة[٤] التي له بمقربة منها، تحبيسًا مؤبدا دائمًا مخلدًا إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين[٥].

---

(١) جنان يطلق هذا المصطلح على القطع الزراعية المحاطة بسياج وتخصص لغراسة أشجار الثمار المختلفة. انظر: رقية بلمقدم: مساهمة الحوالة الحبسية في الكشف عن جوانب من تاريخ البادية، بحث منشور ضمن أعمال ندوة البادية المغربية عبر التاريخ، كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط،١٩٩٩، ص٦٨.

(٢) العراصي مصطلح أطلق على البساتين المنتجة للخضروات والبقول. أنظر: رقية بلمقدم: مرجع سابق، ص٦٨.

(٣) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p. 223.

(٤) الدويرة تصغير لكلمة دوار وهي تعني في عربية المغرب والأندلس تجمع سكني بدوى. انظر: عبدالعال الودغيري، مرجع سابق، ص٤٤.

(٥) BEL: *Op. Cit* , Tome 10, p. 223,224 .

ثانيًا- مدرسة الوادي:

تُعد مدرسة الوادي الواقعة بالقرب من جامع الأندلسيين من بين جملة المدارس التي أنشأها أبو الحسن علي المريني، كما ذكر ابن مرزوق[١]، ويطلق عليها هذا الاسم لأن الوادي الأعظم يشقها من وسطها[٢]، ويصعب تحديد تاريخ إنشائها لسكوت ابن مرزوق بالإضافة إلى المصادر المعاصرة عن تحديد تاريخ الإنشاء.

ونرى أن أبا الحسن المريني قام بعد بنائها بتعيين الفقهاء والمدرسين لتدريس العلم، كما أسكنها بطلبة العلم، ورتب بها خدمة يقومون بها، وأجرى على كل هؤلاء المرتبات، من الأملاك التي اشتراها ووقفها علي هذه المدرسة. وتذكر حوالة أحباس المدارس القديمة في فاس أوقاف تلك المدرسة وهي: ستة وأربعون حانوتًا تقع في مناطق مختلفة في مدينة فاس، بالإضافة إلى ثلث حانوت بالشماعين علي يمين الخارج من الفندق، وثلاثة أخماس ونصف حانوت بالشماعين، وخمسة أثمان حانوت بالعطارين، ونصف حانوت. أما الأوقاف من الأراضي والزيتون فتشمل فج العافية، الرقاع، الحاجة، البريدعة، فرد السداري، فرد فاتح، فرد راشد، فرد جامع، ظهر الكهف، القادوس، ابن أفنزاز، غابة الزيتون الكبرى[٣] بمدشر منزل الحاجب الذى قدره٤٥٤ جزءًا. أما الأجزية [٤] فتشمل قسمة من جنان الغدير وقسمة من جنان ابن رضوان، وبقعة ولجة، وبقعة ولجة الحمير ثم بقعة ثمن جنان. ووقف أيضا خزانة دبغ الهراس، وبقعة دار، وفيض ماء بدار فارس بن سالم، وبدار علي بن محمد الصيرفي[٥].

---

(١) المسند الصحيح، ص٤٠٦،٤٠٥

(٢) المصدر السابق والصفحة.

(٣) تطلق غابة الزيتون علي الأرض التي يكثر بها زراعة هذه الأشجار وتشكل النتاج الأساسي والوحيد. أنظر: رقية بلمقدم: مرجع سابق، ص٦٨.

(٤) الأجزية مفرد جزاء والمعني في عربية المغرب الكراء وهذا المعني لم يرد في كتب الفصيح. أنظر: عبدالعال الودغيري: مرجع سابق، ص ٤٧.

(٥) أحباس المدارس القديمة بفاس، ميكروفيلم رقم ١٦٠، ورقات من ٢٥-٣٠.

وقام بالتدريس في تلك المدرسة الفقيه الحافظ المفتي بمدينة فاس عبد الله الوانغيلي الضرير المتوفي سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٨م. والذي انفرد بفهم كتاب ابن الحاجب في الفروع والأصول، وقام بتدريس الأصلين (أصول الدين وأصول الفقه) والمدونة في هذه المدرسة[١].

ثالثًا- المدرسة المصباحية:

بعد بناء مدرسة الوادي -بفترة لا نستطيع تحديدها- استأنف أبو الحسن على المريني بناء المدارس في مدينة فاس وبالتحديد في عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦-١٣٤٧م حين أصبح سلطانًا إذ شيد مدرسة جديدة قرب جامع القرويين. أطلق عليها المدرسة المصباحية [٢]، نسبة إلي مصباح وهو أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصلوتي المتوفي عام ٧٥٠هـ/١٣٥٠م، وهو فقيه مالكي مشهور، وقد نسبت إليه المدرسة لأنه أول من تصدى للتدريس فيها[٣].

كما أطلق عليها أيضًا المدرسة الرخامية أو مدرسة الخصة نسبة إلي بيلة المرمر الأبيض التي توجد في وسط صحنها. وكان السلطان أبو الحسن جلبها من مدينة المرية[٤] عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، فوصلت إلي العرائش، ومنها إلي وادي قصر عبدالكريم[٥]، ثم حملت منه على عجل الخشب إلي أن وصلت على ضفة وادي

---

(١) ابن القاضي: مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٤.

(٢) BEL: *Op. Cit* , Tome 12, p. 226.

(٣) بيلة كلمة أسبانية تعني صهريج من الرخام ملاصق للأرض. أنظر: جني زهرة الآس، هامش ١٣٣، ص٧٠.

(٤) المرية مدينة محدثة بالأندلس أمر ببنائها أمير المؤمنين عبدالرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ويقع البحر جنوب هذه المدينة. الحميري: مصدر سابق، ص٥٣٨،٥٣٧.

(٥) قصر عبدالكريم مدينة صغيرة بينها وبين مكناسة من جهة المغرب ثلاث مراحل، والقصر على نهر لكس بينه وبين البحر نحو أربعين ميلًا. الحميري: مصدر سابق، ص٤٧٦.

سبو، ثم حملت إلي وادي فاس وحملت إلي مدرسة الصهريج التي بعدوة الأندلسيين، وظلت بها إلي أن حملت منها بعد ذلك إلي المدرسة المصباحية "المدرسة الرخامية"[١].

وتُعد هذه المدرسة من أكبر مدارس مدينة فاس، إذ تتكون من طابقين علويين يسكنهما الطلاب، وتحتوي المدرسة في الطابق الأسفل والطوابق العليا على زهاء ١١٧ حجرة، وتضم مسجدًا صغيرًا له محراب موجود إلى الآن[٢].

وتتعدد الأوقاف التي وقفها أبو الحسن المريني على هذه المدرسة لتؤدي وظيفتها، وتشمل الحانوت الثانية عشر على يمين المنعطف من زنقة الديوان إلى سماط العطارين، وجميع الثلاثة عشر حانوتًا المصطفة علي قنطرة القفاصين، وجميع الدار الكبرى الكائنة بالقلعة أمام السجن وتعرف بدار العفايري، بالإضافة إلى الديار الثلاثة الكائنة برياض حجى مع قاعة متصلة بهم وهم متصلون بعضهم ببعض، وجميع الثلاثة أرباع من دار بالجرف، وخمسة أثمان بفندق الرضاع شرقي الجامع الأعظم. كما وقف أربعة أسباع بجنان بحمام الرياض بالإضافة إلى جنان بخارج باب الفتوح ويعرف بأبي الأولاد، وثلث المدشر المعروف بقلعة كباب، وجميع مدشر الحاجة، وبعض من أرض تاجمة والولجة السفلي، وما وجب بالمحصصة في منزل الحاجب، ومدشر لبني وارينز وذلك خمسمائة وخمسة وأربعين سهمًا، وسدس سهم من ثلاثة آلاف وثلاثة مائة واثنا عشر سهمًا، وثمن سهم وخمسة أسداس الثمن، وذلك كله المسمى باسم الخطيب أبي الفضل المزدغى. ثم تذكر وثيقة الوقف أنه حبس ذلك كله وخلده تحبيسًا دائمًا وتخليدًا مؤبدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين[٣].

---

(١) الجزنائى: مصدر سابق، ص٣٧، ٣٨.

(٢) عبدالهادي التازي: جامع القرويين، ج٢، ٣٥٩..

(٣) BEL: *Op. Cit* , Tome 12, p. 256 ,257.

مدرسة أبي عنان المريني "البوعنانية":

عرف عن السلطان أبي عنان المريني (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) اشتغاله بالعلم، فقد كان يعقد مجالسه في مسجد قصره في كل يوم بعد صلاة الصبح ويحضرها أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة. وكان يقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم، وحديث المصطفي صلي الله عليه وسلم، وفروع من ذهب مالك[١]. لذلك اختتم سلسلة المدارس المرينية بمدينة فاس بتشييد المدرسة التي حملت اسمه وهي المدرسة البوعنانية. وقد شرع في بنائها يوم الاثنين ٢٨ من شهر رمضان عام ٧٥١هـ/ نوفمبر عام ١٣٥٠م، تحت إشراف ناظر الحبس أبي الحسين بن أحمد بن الأشقر، واكتمل البناء في أواخر شعبان من سنة ٧٥٦هـ/٨ سبتمبر عام ١٣٥٥م[٢]. وجاءت هذه المدرسة آية من آيات العمارة الإسلامية، وأشاد بها الرحالة ومنهم ابن بطوطة الذي قال عنها: "إنها لا نظير لها في المعمور اتساعًا وحسنًا وإبداعًا وكثر ماء وحسن وضع"[٣].

وقد أفاض الحسن الوزان في وصف تلك المدرسة وقال عنها: "إنها تمتاز بروعة فائقة، سعة وجمالًا، يري الناظر فيها بركة فاخرة من الرخام. ويخترق هذه المدرسة جدول ماء يسيل في قناة صغيرة أرضها وجوانبها مغطاة بالرخام والزليج. هناك ثلاثة أروقة مغطاة عجيبة المنظر تحيط بها أعمدة مثمنة الأضلاع مثبتة على الجدران. مزدانة بمختلف الألوان. كما أن الأقواس الواقعة بين الأعمدة مكسوة بالزليج والذهب الرفيع. وصنع السقف من خشب منقوش نقشًا دقيقًا منتظمًا. وقد أقيم بين الأروقة والصحن نوافذ من خشب على شكل ستائر، بحيث من وجد بالصحن لا يري من هو داخل الحجرات المطلة على هذه الأروقة. وجميع جدران

---

(١) ابن بطوطة: رحلته، ج٤، ص ١٩٨.

(٢) BEL: *Op. Cit* , Tome 12, p. 365.

(٣) رحلته، ج٤، ص٢٠٢.

المدرسة مكسوة بالزليج على الارتفاع الذي يمكن الإنسان أن يصله بيده. وفي المدرسة كلها على طول هذه الجدران توجد كتابات شعرية منقوشة تسجل تاريخ تأسيس هذه المدرسة ومدح البناية ومؤسسها السلطان أبي عنان. أما أبواب المدرسة كلها فهي من البرونز المصنوع بدقة، وأبواب الحجرات من الخشب المنقوش. وفي القاعة الكبرى المخصصة للصلاة منبر[١] ذو تسع درجات مصنوع من خشب الأبنوس والعاج وهو في الواقع تحفة عجيبة"[٢].

كانت هذه المدرسة آية في الفن المعماري، لكثرة زخارفها ونقوشها. كما ضمت هذه المدرسة ساعة مائية كبيرة، عين لذلك مؤقت يقوم بضبط الوقت منهم المؤقت عبدالرحمن بن أبي القاسم القيسي (٨٠١-٨٦٤هـ/١٣٩٩-١٤٥٩م) وكان من الفقهاء الزاهدين[٣].

أما عن مدرسي تلك المدرسة فلا نعثر إلا على ترجمتين فقط الأولي للشيخ الحافظ الصرصري الذى كان حيًا في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والذى عينه السلطان أبو عنان المريني لتدريس الفقه في مدرسته بعد أن اكتمل البناء عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م[٤]. والترجمة الثانية للشيخ أحمد بن سعيد المكناسي (٨٠٤-٨٧٠هـ/١٤٠٢-١٤٦٦م) فقيه وخطيب جامع القرويين بمدينة فاس

---

(١) أن تزويد قاعة الصلاة في المدرسة البوعنانية بالمنبر يثبت أن صلاة الجمعة كانت تقام بها، إلا أن البعض أفتي أن الجمعة لا تصلح في المدرسة البوعنانية إلا على قول خارج المذهب. أنظر: الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، نشر محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١، ج١، ص٢٥٥.

(٢) وصف أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٣، ج١، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) ابن القاضي: مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٥.

(٤) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفي السقا وآخرين، مطبعة فضالة، الرباط ١٩٧٨، ج٣، ص٢٧، ٢٨.

والذي كان من بين مدرسي تلك المدرسة، فقد درس الفقه في المدرسة المتوكلية المعروفة بمدرسة أبي عنان، وقد اشتهر بأنه كان متصوفًا وشاعرًا وفقيهًا، له نظم لمسائل ابن جماعة في البيوع[١].

وكان للمدرسة البوعنانية أوقافًا ضخمة، تتناسب مع مصاريف تلك المدرسة، فقد ضبط أحد نظار تلك المدرسة المصاريف ووجد أن مجموعها بلغ أربعمائة وثمانين ألف مثقال[٢]، ونرجح أن هذا المبلغ إنما هو للمصاريف السنوية للمدرسة نظرًا لضخامة هذا المبلغ. وهذه الأوقاف الضخمة التي تمتعت بها هذه المدرسة كتبت في لوحة رخامية مثبتة في صحن المدرسة، ويذكر أبو عنان المريني أن ما حبسه على هذه المدرسة إرفاق لطلبة العلم وإرفاد وإعانة لهم على طلبه[٣].

وتشمل الأوقاف الحمام المعروف بحمام الشطارة، والدويرة المتصلة من حقوقه بأعلى حلق النعام قبلي المدرسة، والرحي المتصلة من المدرسة من جهة الشرق، والرحي الثانية المعروفة برحي الحطابين، والفرن التي بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة. والروان الاثنان أحدهما بالزنقة جنب الفرن ويتصل بالحوانيت الجدد المحبسة على المدرسة، والأخر بزنقة ابن نوار ويتصل بدار الوضوء المذكورة. كما وقف أربعة وسبعين حانوتًا كلها بالقرب من المدرسة. وخصص ذلك كله ومنافعه جميعها ليصرف فوائده في إصلاح المدرسة ومرتبات المقرئين والطلبة والقوامين بها، تحبيسًا تامًا ثابت الحكم لا تبديل لرسمه إن شاء الله تعالي[٤].

وتحدد حوالة أحباس المدارس القديمة في فاس موقع هذه الموقفات، فالحوانيت بعضها يقع في الصف المقابل للمدرسة، وبعضها الآخر في سوق

---

(١) ابن القاضي: مصدر سابق، ج١، ص١٢٨، أحمد بابا مصدر سابق، ص١٢٥.

(٢) الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص٢٢٦.

(٣) BEL: *Op. Cit* , Tome 12 ,p364 ,365.

(٤) Ibid , Tome 12 ,p 365.

اللبادين وفي سوق البزازين وفي سوق العطارين وسوق الخرازين. أما بالنسبة للأرحاء الاثنتين فالأولي رحى طريانة، والثانية رحى المزداغ وتقعا مع حمام الشطارة في سوق البزازين[1].

هكذا كان للأوقاف أثرها في بناء ثمان مدارس في مدينة فاس في العصر المريني، أسهمت في بعث الحيوية في النشاط التعليمي ورفعت من مستواه. كما فتحت هذه المدارس أبوابها لطلاب المدن والبوادي مما أسهم في التخفيف من حدة التفاوت الثقافي الذي كان سائدًا قبل بناء المدارس في القرن ٧هـ/١٣م، وأصبح في مقدور فئات حضرية أو قروية أن تأخذ نصيبها من التعليم. بما توفره لهم هذه المدارس من وسائل العيش والتعليم. كما فتحت هذه المدارس مجالًا واسعًا للعلماء والفقهاء والمدرسين كي يعملوا بالتعليم والتأليف مما أدي إلي ازدهار الحياة العلمية والتعليمية في فاس في العصر المريني، أسهم في ذلك أنظمة التعليم التي اتبعت في هذه المدارس.

أنظمة التعليم في المدارس المرينية بفاس:

أسهم بعض حكام الدولة المرينية في نشأة المدارس في مدينة فاس، كما وقفوا عليها الأوقاف المغلة لتؤدي وظيفتها، ولم يسهم هؤلاء في هذا الأمر بصفتهم الرسمية حكامًا بل أفرادًا مسلمين أتقياء محسنين من أبناء المجتمع، ورغبة منهم في نيل ثواب الله تعالي ومغفرته. كما يتضح من نصوص الأوقاف التي كان لها الدور الأهم في أن تؤدي تلك المدارس وظيفتها التعليمية.

والجدير بالذكر أن وثائق الوقف الخاصة بتلك المدارس لم تحدد أنظمة التعليم بها، فقد اقتصرت على تحديد الموقفات من دور وحوانيت وحمامات وأفران وأرحاء وجنان وغيرها. كما حددت أيضًا الموقوف عليهم من طلاب وأساتذة

---

[1] حوالة أحباس المدارس القديمة في فاس ورقات ٧ – ١٠.

وأئمة ومؤذنين وخدمة المدرسة. ولذلك ندين بالفضل لنوازل الأوقاف التي أوردها الونشرسي في تحديد نظام التعليم في تلك المدارس وفي معرفة اللائحة المنظمة لها وقواعد تسجيل الطلاب بها. ويمكن تحديد لائحة العمل في تلك المدارس من خلال النازلة التي سئل عنها الشيخ الفقيه عبد الله بن محمد بن أبي عمران موسي العبدوسي وأجاب عنها عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، وجاء فيها:

١- يسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوقها.

٢- يأخذ الطالب قراءة العلم ودراسته بقدر وسعة.

٣- علي الطالب أن يحضر قراءة الحزب صبحًا ومغربًا، ويحضر مجالس مقرئها ملازمًا ذلك إلا لضرورة من مرض وشبهة من الأعذار المبيحة لتخلفه.

٤- لا يختزن في المدرسة من سكنها من الطلاب إلا قدر حاجته على ما جرت به العادة، فيجب عدم اختزان ما لا يجوز اختزانه.

٥- لا يجوز لمن ينقطع للعبادة، ويترك دراسة العلم سكن المدرسة، لأنها لم توقف لذلك، وإنما وقفت لمن يتعبد بقراءة العلم مع عباده لا تشغله عن القيام بما قصده الواقف من العكوف على دراسة العلم وحضور مجالسه.

٦- يسمح للطالب أن يقيم في المدرسة مدة عشرة أعوام، فإذا لم تظهر نجابته أخرج منها جبرًا لأنه يعطل الوقف[١].

٧- وأضاف أبو العباس أحمد بن قاسم بن القباب المتوفي بفاس عام ٧٧٨هـ/١٣٧٦م، في نازلة أخري بندًا إلى اللائحة فيقول: "أن من يأخذ مرتبه من وقف المدرسة لابد أن يقوم بالوظيفة المشروطة عليه في ذلك"[٢].

---

(١) المعيار، ج٧، ص ٧.

(٢) المصدر السابق والجزء، ص ٢٩٤.

٨- إذا ضاق ريع الوقف نتيجة انخفاض إيجار الأعيان الموقوفة أو لإجراء مرمة لصيانة مبني المدرسة[١]، أفتي الفقيه المالكي خلف بن أبي بكر بن نعمة حين سئل عن مدرسة بها طلبة يسكنونها وقومة يقومون بها وهم إمام ومؤذن ومدرس وأستاذ وبواب، ولها أوقاف يضيق خراجها في بعض الأوقات حتى لا تفي بالموقوف عليهم قال:

أ- يأخذ القيم والبواب ما رتب لهم الواقف بالتمام والكمال عند ضيق عائد الأوقاف عن مرتبات من ذكر، لأنهما ملحقان بالعمارة ولا تتم إلا بهما، لأن المدرسة المذكورة تحتاج إلى الكنس والفرش وفتح الباب وغلقه وحفظ الحصر والقناديل وغير ذلك.

ب- ما فضل بعد ذلك من عائد الأوقاف تقع القسمة فيه بين من ذكر من الإمام والمؤذن والمدرس والأستاذ والطلبة، إذا كانت العين الموقوفة مدرسة كما ذكر[٢].

وقد شارك أعيان الفقهاء في مدينة فاس في الفتوي حول ضيق ريع الوقف على المدرسة، فالفقيه المفتي أبو العباس أحمد بن قاسم القباب الجذامي أجاب عام ٧٦٧هـ/١٣٦٦م قائلا: إن ما يأخذه الطلبة رفق وإعانة لهم، ويكون تقسيم الوقف حصصًا بالتساوي لما يأخذه الفقيه والأستاذ والإمام والمؤذن والخدم والقيم، إجارة تقدم على ما هو إعانة[٣].

أما الفقيه المفتي أبو عمران معطي العبدوسي أجاب عام ٧٧٧هـ/١٣٧٥م فقد أجاب قائلاً: إذا ضاق الوقف نظر في الأهم فالأهم، ويحافظ على نصه إذا فهم،

---

(١) المعيار، ج٧، ص٣٦٣.

(٢) المصدر السابق والجزء، ص١٨،١٧.

(٣) المصدر السابق والجزء، ص،٣٦٨.

إلا فالأقرب إلى عسى ما يقصده، وإن بقي بعد هؤلاء شيء أعطي الطلبة الملازمين من المواظبين على القراءة هناك[١].

أما إجابة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبدالمؤمن التازي والتي كانت سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م فقد جاء فيها: يتبع في الوقف قول الواقف ولا يخالف فهو قد سمي لكل نوع ما يأخذ، فصاروا شركاء في الغلة فإذا اختص أحدهم بالأجرة صار قد أخذ نصيب شركائه وصار خلاف قول الواقف، ويقدم ما هو ضروري للمدرسة ممن تولى فتحها وغلقها وكنسها وإدارتها، إذ لولا هؤلاء لخربت فهم مرتبطون بعمارتها[٢]. هكذا اتفق هؤلاء الفقهاء الثلاثة في فتواهم على تقديم من يحافظ على عمارة المدرسة ويقوم بصيانتها.

على أية حال أعانت اللائحة المنظمة للعمل في تلك المدارس على تنمية العملية التعليمية في مدينة فاس، مع تزايد عدد الطلاب بالمدينة ومع توافد طلاب البوادي والمدن الأخرى شجعهم على ذلك هذه الأوقاف التي مكنت أبناء الفئات الاجتماعية المتوسطة والدنيا من نيل نصيبها من العلم والتعليم[٣].

أما بالنسبة للمناهج التي كانت معتمدة للتدريس في المدارس المرينية فتشمل العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، فقد كانت المدارس تدرس كتب التفسير والأصول، بالإضافة إلى تدريس الفقه المالكي من كتب الفروع المالكية، كما كانت تدرس العقائد وكتب النحو والبلاغة والحساب وغيرها[٤]. أما أوقات

---

(١) المعيار، ج٧، ص٣٦٧.

(٢) المصدر السابق والجزء، ص٣٦٣، ٣٦٤.

(٣) الحسين إسكان: الأنفاق علي التعليم بمدينة فاس بين القرن السادس والثامن الهجري، بحث منشور في كتاب المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب الدار البيضاء، سلا ١٩٩٠، ص٢٤٨

(٤) مارمول: أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرين، دار نشر المعرفة، الرباط ١٩٨٩، ج٢، ص٢٤٧.

التدريس فكان بعض الأساتذة يلقي دروسه في الصباح، وبعضهم الآخر في المساء، ويتقاضون جميعًا مرتبات حسنة أوصى بها مؤسس المدرسة من ريع الوقف[١].

والجدير بالذكر أن هناك من علماء ذلك العصر من انتقد ظهور المدارس ورسالتها، منهم محمد بن إبراهيم الآبلي العبدري التلمساني[٢] (٦٨١-٧٥٧هـ/١٢٨٢-١٣٥٦م) فقد قال: "أفسد العلم وأذهبه بنيان المدارس، لأن البناء يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجرايات"[٣]. رأى الآبلي أن في إنشاء هذه المدارس ضررًا يصيب البحث والدراسة والعلم، لأنها تمنع الطلاب من الرحلة في طلب العلم عند أشهر الشيوخ والعلماء في العالم الإسلامي، ولأنها تجعلهم يستقرون في المدارس تحت إغراء المزايا العديدة التي يحصلون عليها من سكن ورواتب وجراية، بالإضافة إلى التقدير الذي ينالونه والوظائف العامة التي تفتح أمامهم[٤]. إن هذا النقد كم نرى يتعلق بطريقة التعليم ومستواه، ويهدف إلى توسيع دائرة طلب العلم.

أصاب التدهور مدارس فاس الوقفية في أواخر العصر المريني، ويرسم الوزان صورة لهذا التدهور يقول: لم يبق للطلاب غير السكن، إذ خربت الكثير من الأملاك والبساتين الموقوفة والتي كان ريعها مخصصًا للإنفاق عليها بسبب حروب السلطان أبي سعيد القاني (٨٠٠-٨٢٣هـ/١٣٩٨-١٤٢١م) التي دفعته للاستيلاء

---

(١) الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص٢٢٧.

(٢) يُعد الآبلي أهم علماء عصره أصله من الأندلس من أهل آبلة من بلاد الجوف، نشأ بتلمسان وعكف على العلم فقصد إلى الحج فلقي بالديار المصرية ابن دقيق العيد وأخذ عنه وعن غيرهم أتجه إلى فاس ومنها إلي مراكش ولازم ابن البناء المراكشي وأخذ عنه ثم عاد إلى فاس واستدعاه أبو الحسن المريني ليعلم ابنه وولي عهده أبا عنان إلي أن توفي بفاس. أنظر: ابن القاضي: مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٣) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص٤١٤.

(٤) BEL: *La Religion Muslumane en Berberie*, Tome 1, Paris 1938, p324.

على الكثير من أوقاف تلك المدارس[١].

وكذا نري أن الحياة التعليمية في مدينة فاس ازدهرت مع ازدهار الأوقاف، وتدهورت بتدهور هذه الأوقاف، حتى حق للوزان أن يقول: إن ما حدث للأوقاف يُعد أحد الأسباب التي أدت إلى انخفاض القيمة الفكرية ليس في فاس وحدها ولكن في جميع مدن المغرب[٢].

الخاتمة:

عرضت هذه الدراسة للمدارس الوقفية في مدينة فاس خلال العصر المريني، وقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج عديدة مهمة تمثلت في التحديد الزمني الدقيق لبداية ظهور المدارس في بلاد المغرب بوجه عام ومدينة فاس بوجه خاص. إذ أنها ظهرت في بلاد المغرب بعد ظهورها في المشرق بقرنين، وتُعد مدرسة الحلفائيين التي شيدها أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م أول المدارس المرينية وثالث المدارس التي ظهرت في بلاد المغرب إذ سبقها مدرسة الشماعين في مدينة تونس والتي بنيت عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، ومدرسة أبي الحسن الشاري الذي بناها في مدينة سبتة عام ٧٣٥هـ/١٢٣٧م.

أكدت الوثائق الوقفية والمصادر المتاحة أن إنشاء المدارس المرينية في فاس لم يكن لتخريج كوادر دينية وإدارية كما زعم البعض، وإنما أنشئت من أجل أعانة الطلاب على طلب العلم، والمدرسين والأساتذة علي نشره. ومن أجل تحديد الهدف العلمي النبيل أنشأ المرينيون ثماني مدارس في مدينة فاس وقفوا عليه الأوقاف لكي تؤدي هذه المدارس رسالتها.

فتحت المدارس التي شيدت في العصر المريني الباب أمام طلاب البوادي والأرياف ليأخذوا نصيبهم من العلم والدراسة، مما أدي إلي نشر العلم والثقافة بين

---

(١) وصف أفريقيا، ج١، ص٢٢٧.

(٢) المصدر السابق والجزء والصفحة.

أبناء بادية فاس والطلاب الغرباء عن هذه المدينة، أدي هذا الأمر إلى زيادة الترابط والتلاحم بين أبناء المجتمع الفاسي.

من النتائج الجديرة بالذكر تصحيح ما ذكره ألفرد بيل الذي وقع في خطأ حين قام بنقل نص وقفية مدرسة فاس الجديد -التي شيدت عام ٧٢١هـ/١٣٢١م- من اللوحة الرخامية المثبتة في جدار المدرسة، إذ نقل أن المؤسس هو أبو الحسن المريني، لكن بالأدلة والبراهين أكدنا أن الذي بني هذه المدرسة أبوه السلطان أبو سعيد عثمان بن عبدالحق المريني.

توصلت الدراسة إلى لائحة العمل التي كانت تقوم عليها الدراسة في المدارس المرينية بالإضافة إلي قواعد قبول الطلاب بها.

ملحق (١)

جوامع فاس ومدارسها في العصر المريني

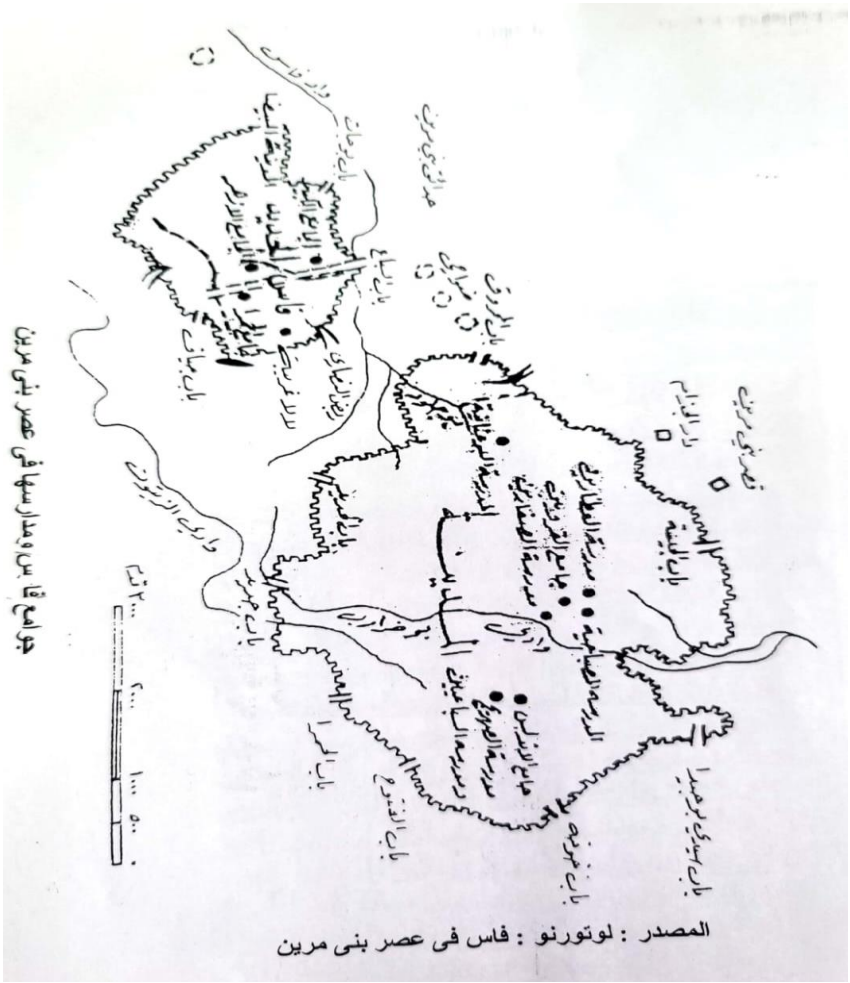

ملحق (٢)

أحباس مدراسة الحلفاويين

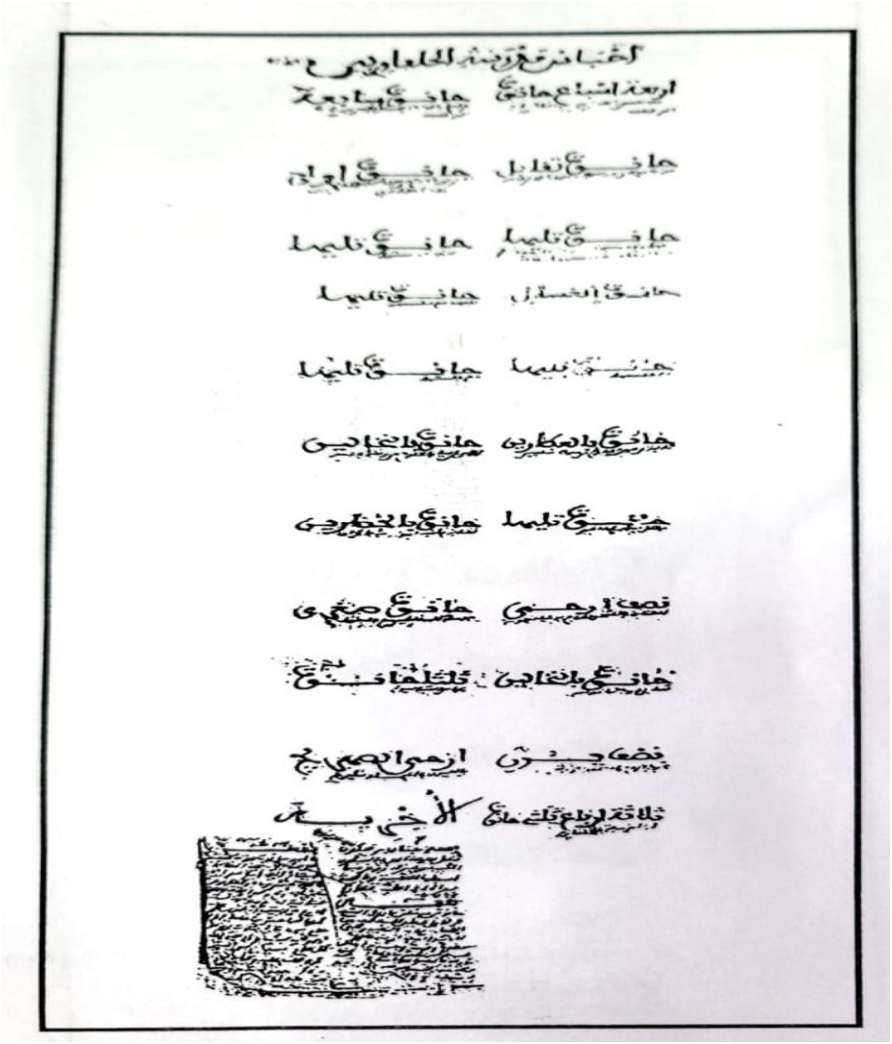

حوالة أحباس المدارس القديمة بفاس – الخزانة العامة بالرباط رقم ١٦٠

ملحق (٣)

أحباس مدرسة الوادي

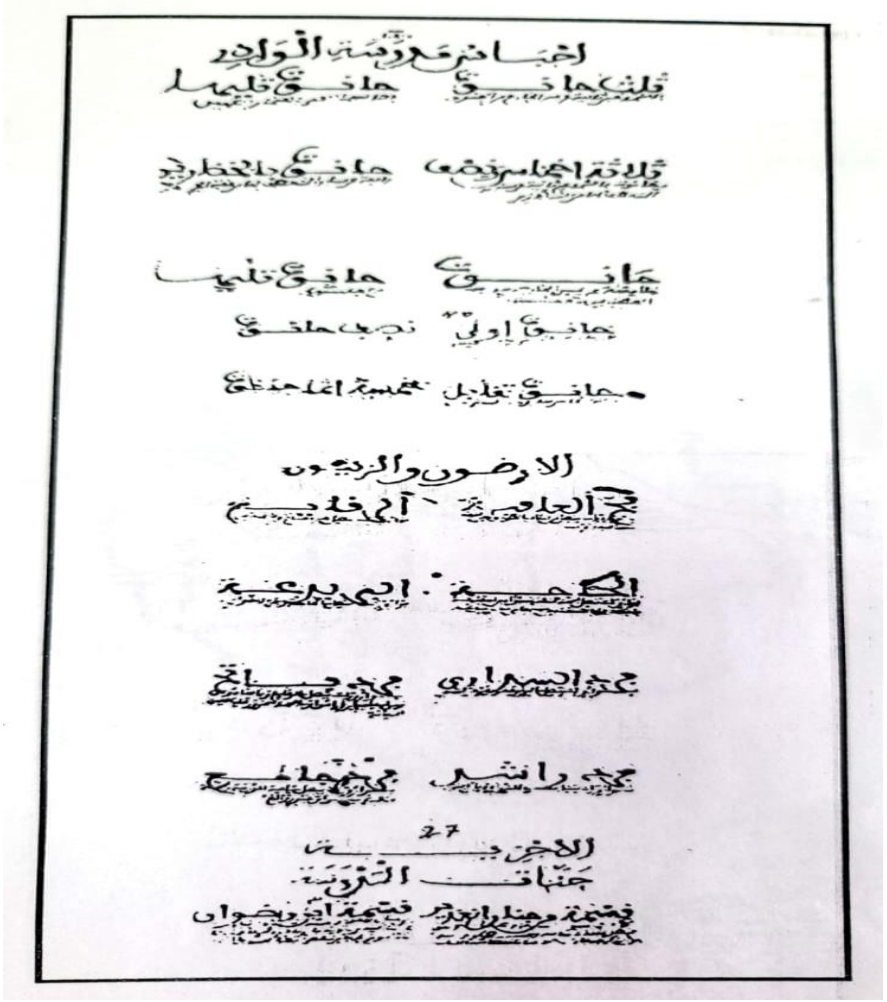

حوالة أحباس المدارس القديمة بفاس – الخزانة العامة بالرباط رقم ١٦٠

ملحق (٤)

أحباس المدرسة البوعنانية المتوكلية

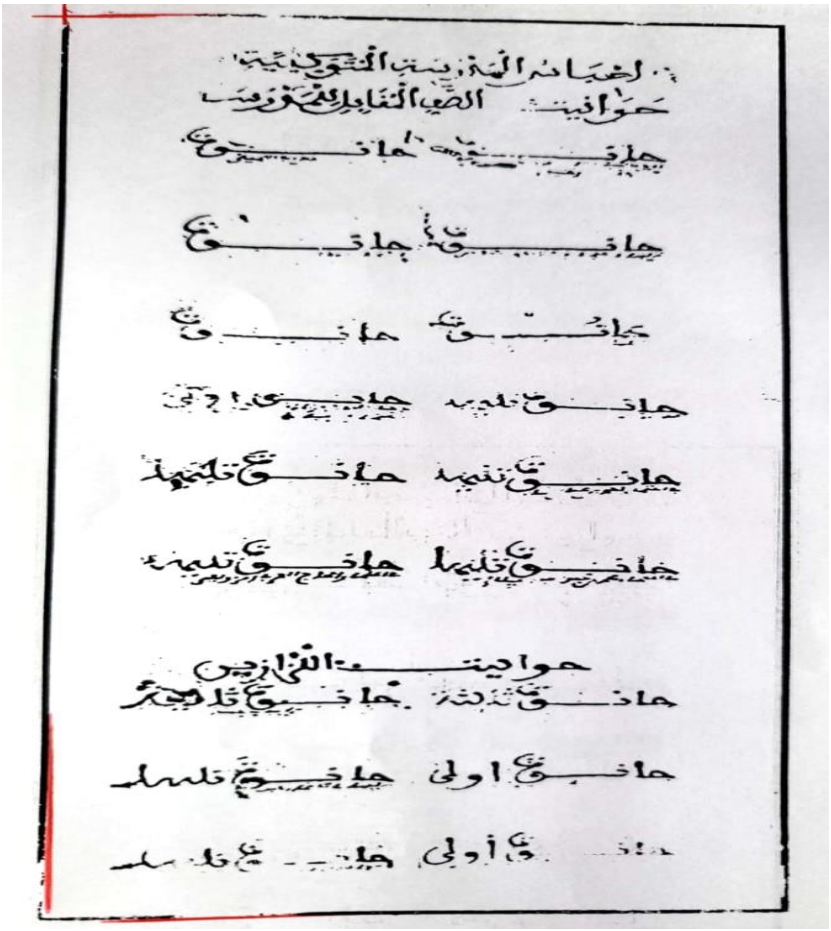

حوالة أحباس المدارس القديمة بفاس – الخزانة العامة بالرباط رقم ١٦٠

ملحق رقم (٥)

وقفية مدرسة الصهريج ومدرسة السبعين ودار أبي حباسة للشيوخ

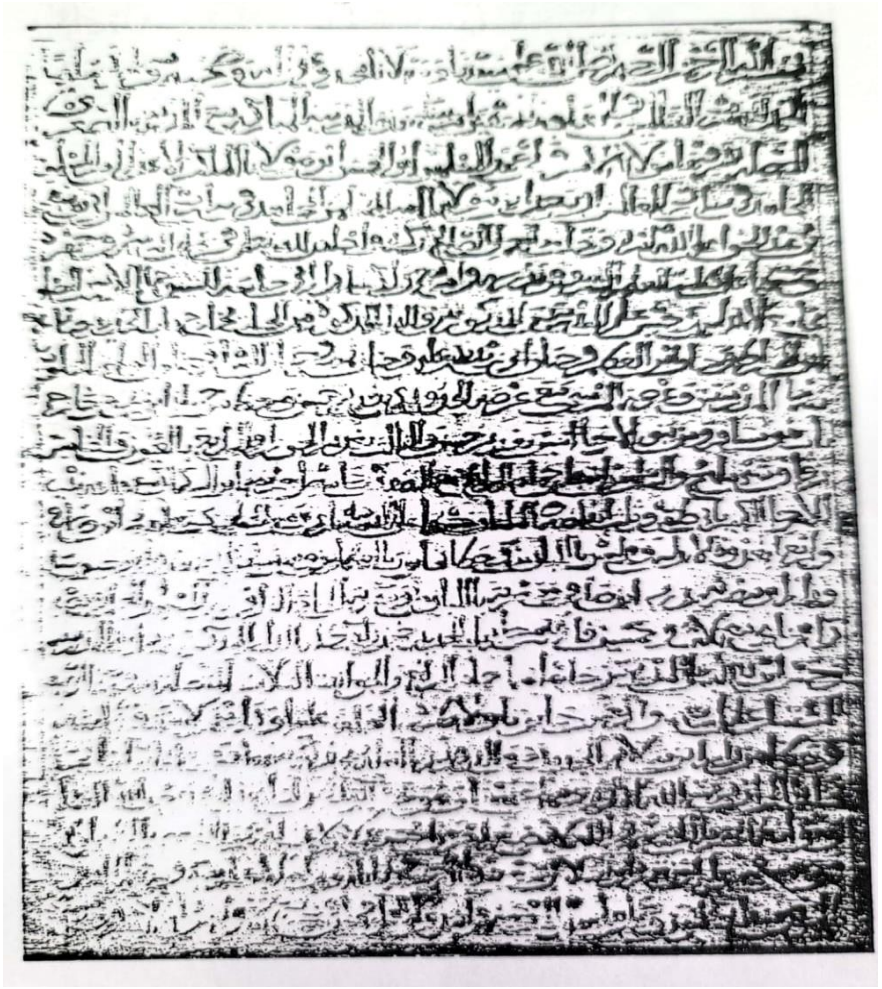

نص وقفية مدرسة الصهريج ومدرسة السبعين ودار أبي حباسة للشيوخ

بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آلَه وصحابته وسلم تسليما، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين. أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى المتصلة بشرقيها مولانا الأمير ولي عهد المسلمين أبو الحسن بن مولانا الملك الأعدل أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبدالحق أعلى الله أمره وخلد بالعمل الصالح ذكره، وأخلص الله تعالي في عمل البر سره وجهره. وحبسها على طلبة العلم الشريف وتدريسه، وأمر مع ذلك ببناء دار أبي حباسة للشيوخ الملازمين للصلاة بجامع الأندلس. وحبس على المدرستين المذكورتين والدار المذكورة من الجنات بخارج باب الحديد، جنان ابن شراط، وجنان ابن العطمر، وجنان أبي زيد بن علي، وجنان تميم، وجنان السهار، وجنان الوجة المجلوب منه ماء المدرستين. وعرصة المرسي، مع عرصة الحدودي بغدير حسن. وحظ من جنان ابن رينق خارج باب بني مسافر. ومن بيوت الارحا اثنين بغدير حسن، والثالث بغدير الجوزا، والرابع بالغيون، والخامس بزقاق شيء مليح، والسادس أسفل حمام الزليج مع النصف برحا متصل بعرصة ابن سكاك مع قاعة بيت الارحا الكبير بأبي طوبة. وثلث أنقاضه وثلثان حبسهما على المدرسة بتازي. ومن الحوانيت سبعا بدرب ابن صافي، وأربعا بعدوة الأندلس، وواحدة باللبادين، وحظا بحانوت في العطارين. ومن سائر الربع فندق ابن خنوسة، ودارا ومصرية بدرب ابن صافي، ومصرية باللبادين، ومصرية الحاج القراق عند مسجد الحمرا. ونصف دار هناك مع ثلاث وخمسين قاعة من جزاء من باب الحديد خمس ذلك كله للدار المذكورة وسائره للمدرستين. وحبس أيده الله على المدرستين خاصا بهما حمام الزليج، والحوانيت الثلاثة المتصلة به، وربع الرصيف المشتمل على

أربعة وأربعين حانوتا والأطرزة المحملة عليها، ودارين لابنة قشاشة، وحظا من دار ابن سلام الجديدة، والدويرة التي له بمقربة منها. تحبّيسا مؤبدا دائما مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. أراد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجزيل الجسيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخيب له في هذا المقصد السني أملا. من سعي في تبديله أو تغيره أو بإحلال بشيء منه فالله حسيبه وسائله ووليّ الانتقام منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وكمل بناء هذه المدرسة وابتدى الإقراء فيها في عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

BEL: *Inscriptions Arabes de Fes*, Tome 10, pp 222 , 224.